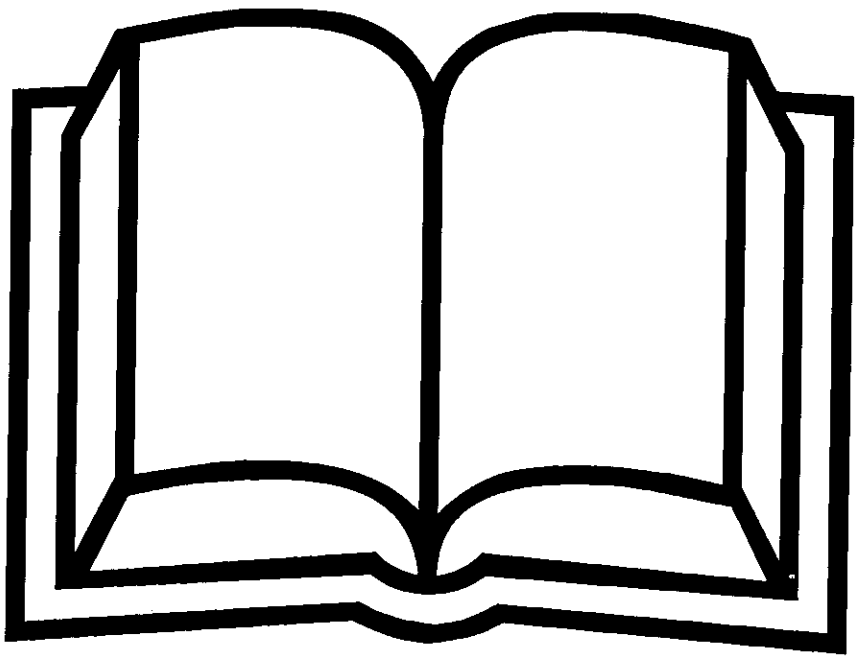

شعر عبد العزيز عتيق (دراسة أسلوبية)

للسؤال عن طبعة من دواوينه ، وقد كانت دار الكتب المصرية التي احتضنت دواوين عتيق الثلاثة خير هدية لي .

وبعد الاطلاع على أشعاره وما فيها من عوامل فنية وجمالية ، جعلتها حية تسري في جنباتها مشاعر وأحاسيس مبدعها على الرغم من رحيل صاحبها عن عالمنا بفترة ليست بالقصيرة . مما جعلني أخطو خطواتي الأولى في سبيل دراستها وخشية أن تأتي الدراسة انعكاساً لهذا الحب والإعجاب الشديدين لشعر عتيق ، آثرت أن تكون دراستي دراسة علمية بعيدة عن الأهواء إلا الزلات التي تؤكد على الإعجاب الشديد بشعر عتيق . وقد كان لتقديم " سيد قطب " لديوان عتيق أثر كبير في اقتراب الباحث من ذات نفس الشاعر ، وعمق هذا الإحساس أكثر وأكثر د. طه حسين في مقدمته التي وضعها لديوان أحلام النخيل ٢ ، والتي كانت في غالبها وصفاً لشعر عتيق أكثر من وصف عتيق ذاته كما فعل سيد قطب .

وبعد البحث والتمحيص عن أشعار عتيق وأخباره التي تكون هادياً لفنه لمدة عامين من بداية البحث حدثت المفاجأة في أن عتيقاً قد دُرِسَ عام ١٩٧٧ م بجامعة الأزهر ، وهذه الدراسة الوحيدة التي تناولت عتيقاً ، وقد أولت عنايتها بسرد حياته أكثر من شعره.

ومن ثم هدفت دراستي إلى إعادة اكتشاف عتيق من شعره وليس اكتشاف عتيق وأشعاره ، وكانت الدراسة الأسلوبية خير ما يعكس صورة صادقة لفن عتيق ، ويبرز أدواته التعبيرية والفنية التي بها يتميز عن غيره من شعراء العربية عامة ، وشعراء مدرسته الأدبية التي ينتمي إليها (مدرسة أبولو) بصفة خاصة ، بل وبين قصائده بعضها البعض ، إذ هو شاعر توفرت له عوامل لم تتوفر لغيره من أقرانه من الشعراء ، فقد كان ناقداً لأشعاره نقداً إيجابياً بناءً ، وكان دائم التغيير والتنقيح لأشعاره من آن لآخر ، فقد علا صوته النقدي على الجانب الإبداعي ، حتى توقف عن الإبداع الشعري نتيجة فرض القيود النقدية على ذات نفسه الفنية ، ومن ثم كبلت موهبته . وما أكثر هؤلاء الشعراء في الوقت الحالي ، الذين طغت عليهم النظرة النقدية ، حتى فرضت قيودها على الجانب الإبداعي والفني .

وإن كان علم اللغة يدرس ما يقال ، فإن الأسلوبية تدرس كيفية ما يقال ، مستخدمة الوصف والتحليل في آن واحد ، مقرنةً علم اللغة بالبلاغة ، وهذا ما جعل المنهج الأسلوبي من أكثر المناهج المعاصرة قدرة على تحليل الخطاب الأدبي بطريقة علمية موضوعية .

ومن ثم " يتجه الدرس المعاصر للأدب على نحو التركيز على أداته ، باعتبار أنها هي المادة الملموسة التي يستطيع الدارس من خلالها أن يدرك العمل الفني ويحلله ويدرسه."[1].

وهذا ما جاءت به الدراسة الأسلوبية للتعامل مع النص تعاملاً علمياً وجعل النص (الرسالة) هو الشاعر نفسه ففيه يحيا وبه تتشكل ملامحه الأدبية والفنية بل بين حروفه وكلماته وعباراته التي يتشكل منها النص وكأن روح المبدع تسري في أرجاء النص ، ومن ثم أضحت اللغة الشعرية لغة حية ، ترث ملامح صاحبها ، وتعكس ما خفي من ملامح داخله إلى المتلقي (القارئ) في أشكال فنية بارعة . وهي أيضاً – الأسلوبية – آخر ما تفرع عن اللسانيات من علوم اللغة الحديثة – ليطمح إلى سد الثغرة تنظيراً وتطبيقاً وعلماً ومنهجاً ، ويرجع الفضل في ظهور هذا المنهج إلى نقاد الغرب من أمثال (دي سوسير) و (تشومسكى) وغيرهم . وإن كانت هذه المناهج معروفة بروحها في أدبنا العربي ونقدنا القديم منذ الجرجاني والقرطاجني وقدامة بن جعفر وغيرهم .

أسباب الدراسة :

١- وضوح السمات الأسلوبية في شعر عتيق وتمثيل كل ديوان من دواوينه لمرحلة عمرية وفنية مميزة ، مما يجعل نتائج الدراسة الأسلوبية مهمة في تناول شعره .

٢- غزارة إنتاج الشاعر وجودة شعره وهذا من قول د. طه حسين : " هذه جنة من جنات الشعر ، وما أقلها ، بل ما أندرها في هذه الأيام .. والناظر لشعر عتيق يجده على اختلاف فنونه ، خالياً من الصنعة ، ولا يجد فيه مشقة ، وإنما يستسيغه

---

١ - د. سيد البحراوي : موسيقى الشعر عند شعراء أبولو ــ دار المعارف ــ القاهرة – ط١ ــ ١٩٨٦م ــ ص٣ .

للقراءة الأولى فيملأ نفسه جمالاً وسحراً " ، وكذلك أقوال سيد قطب ، ود. محمد مندور [1]

٣- كون الشاعر عضواً بارزاً من أعضاء جماعة لها فضلها في مجال الأدب والنقد وكان لها فضل العروج إلى الآداب العالمية والاستفادة منها وإخصاب أدبنا العربي بغيره من الآداب الأخرى – جماعة أبولو – حتى أعدت هذه المدرسة وإنتاجها الأدبي والنقدي ، النواة الأولى للحداثة وبداية التحرر من الوزن والقافية وهذا واضح وجلى لدى عتيق وفي كثير من قصائده .

٤- لم ينل شعر عتيق حظه من الدراسة والذيوع والشهرة في الأوساط الأدبية والنقدية مثلما حظى قرناؤه ونظراؤه في جماعة أبولو رغم مؤلفاته النقدية والبلاغية التي تنم عن توافر الملكة الشعرية ، والموهبة الحقة لديه ، وتنبئ بما لشعره من سمات خاصة تميزه عن غيره من شعراء مدرسته .

٥-إن مجال الشعر الرومانسي خير مناخ تأتي فيه ثمار الدراسة الأسلوبية ، إذ إن فضيلة الأدب – عند الرومنسيين – هي كونه معبراً عن الذات ، وأنها تمثل التجربة كلاً متماسكاً يكاد يكون فيه الأسلوب بصمة لصاحبه ، حتى إنه ليتعذر علينا الفصل بينهما ، بل إن الأسلوب قد يكتسب قوته من طبيعة الشخصية التي استخدمته " وكم من عبارات كان لها أثرها في النفوس لم تكن لتحدث هذا الأثر لو لم تصدر عن شخصية بذاتها .

إن الأديب ذا الشخصية القوية المؤثرة يخلق للكلمة – باستخدامه إياها – مجالاً واسعاً ، ولا يلبث الكثيرون أن يجدوا أنفسهم واقعين في إسارها ، فمن حيوية الشخصية وقوتها تستمد الكلمة ، وهي بهذه الحيوية والقوة تؤثر في الآخرين ، وتفرض نفسها عليهم . " [2] ومن هنا يمكن القول أن " الأسلوب سمة شخصية لا يمكن أخذه ولا نقله ولا تعديله باعتباره خاصية في الأداء اللغوي لا يمكن تكرارها . " [3]

---

١ - انظر : سيد قطب - في مقدمة ديوان " عتيق " - مطبعة العلوم - ط١ - ١٩٣٢ م - وكذلك د. مندور في كتابه : الشعر المصري بعد شوقي " الحلقة الثالثة " من ص٧٩ : ص ٩٠ .

٢ - WILLIAM HENRY HUDOSN : AN INTODUCTION TO THE HISTORY OF LITTERARTUER ,SECOND EDITION . PAGE ٣٦ .

نقلاً عن : عز الدين إسماعيل – الأدب وفنونه - دار الثقافة العربية للطبع - " دار الفكر العربي " - ط٤ . ١٩٦٨ م - ص٣٣ .

٣- د. محمد عبد المطلب - البلاغة والأسلوبية – الشركة المصرية العالمية للنشر " لونجمان " - ١٩٩٤م - ص٢٢٥ .